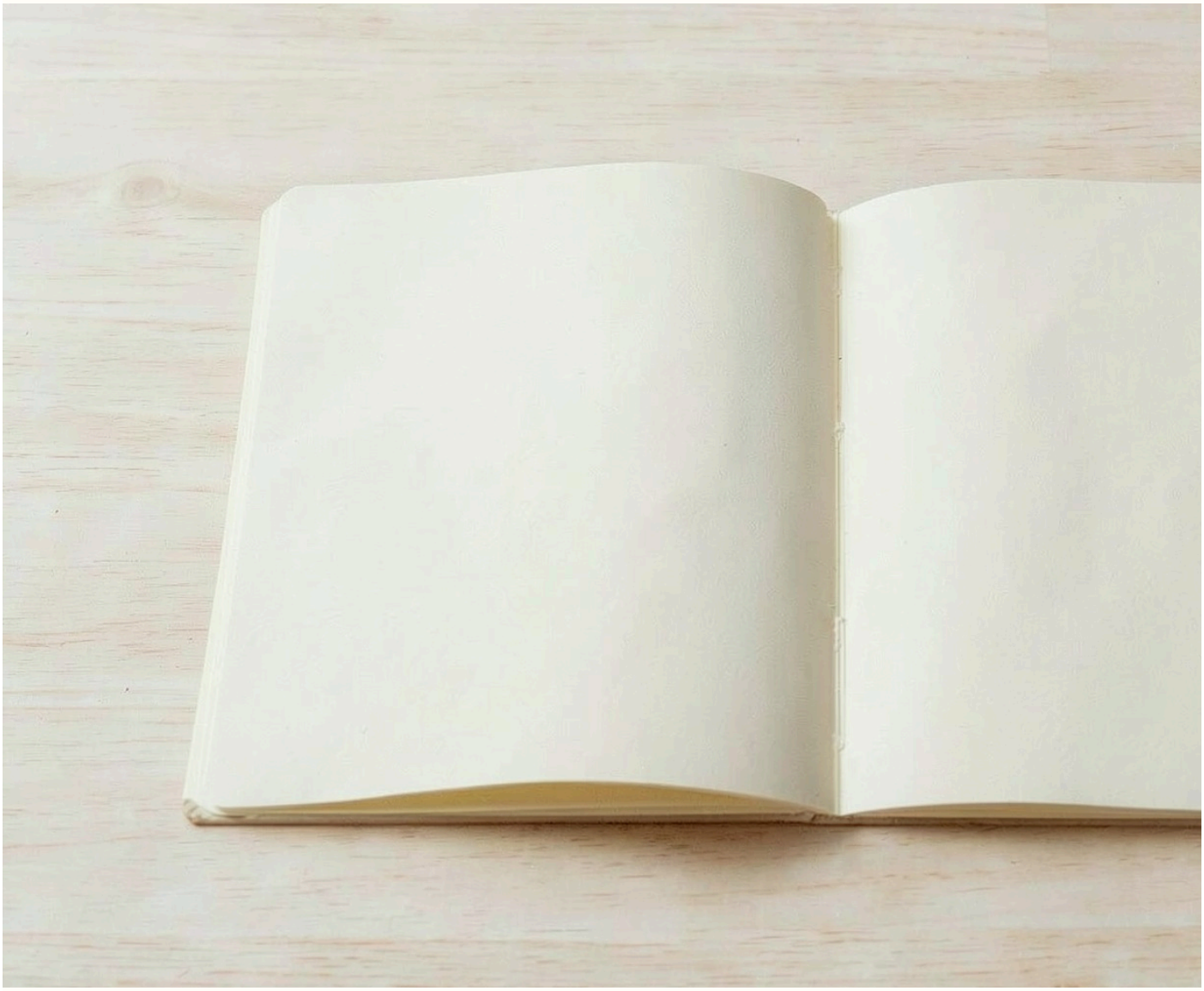
قرار لا يملك كل الإجابات



مدارج



كانت مريم، في الثامنة عشرة، تظن أن القرار الكبير يأتي في لحظة واضحة: تنفتح النافذة، وتدخل الإجابة كاملة، ويسكن كل سؤال. لذلك أقلقها أن تبقى حائرة بعد أشهر من البحث. كان أمامها قبولان جامعيان: هندسة البيئة في مدينة بعيدة، ونظم المعلومات في جامعة قريبة من بيتها. وكان عليها أن تجيب خلال اثني عشر يوما.

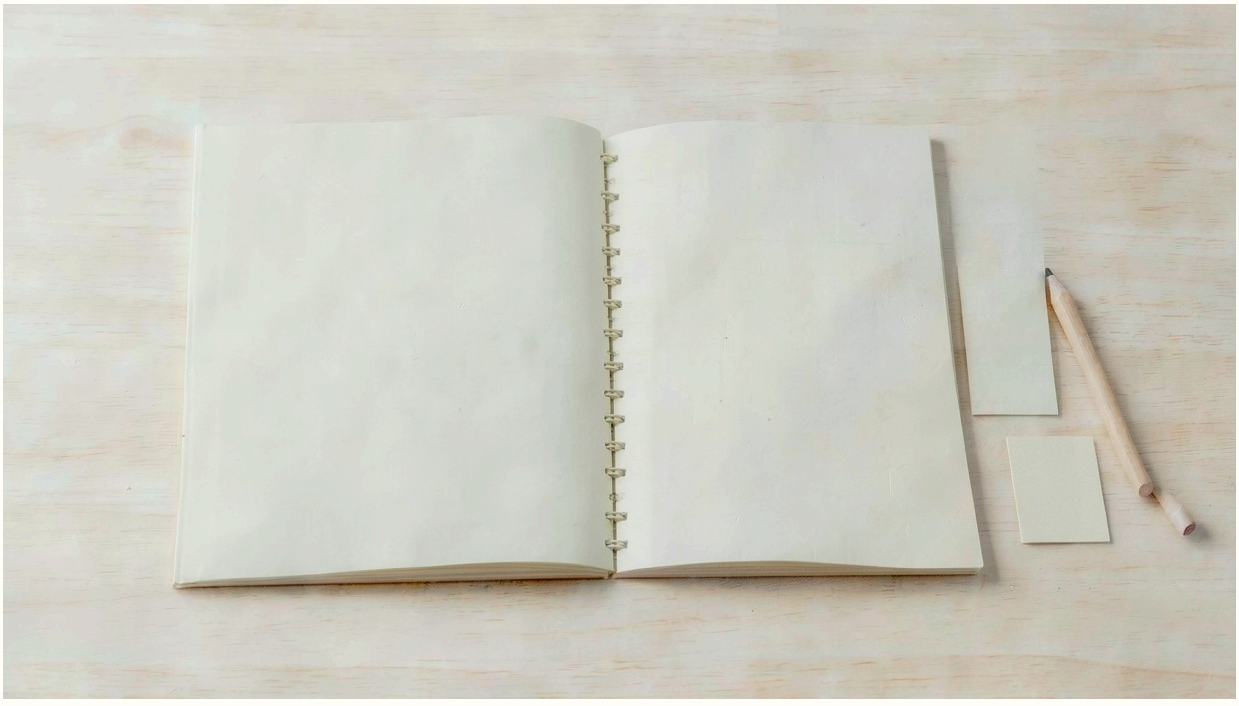
فتحت جدولا، وكتبت في العمود الأول: «ما أعرفه». في العمود الثاني: «ما أحتاج إلى معرفته». وفي الثالث: «ما لا أستطيع ضمانه». ساعدها هذا التقسيم على أن ترى أن الحيرة ليست كلها شيئا واحدا. بعضها نقص في المعلومات، وبعضها خوف من المستقبل، وبعضها رغبة في ضمان لا يملكه أحد.

بدأت بما يمكن فحصه. قرأت الخطة الدراسية لكل تخصص، وحسبت تكلفة السكن والنقل، وسألت الجامعة البعيدة عن المنحة وشروط استمرارها. لم تكتف بفيديو قصير يعدها بـ«وظيفة المستقبل»، بل قرأت وصف المقررات، ورأت أن هندسة البيئة تحتاج إلى كيمياء ورياضيات أكثر مما تخيلت. ورأت أن نظم المعلومات ليست مجرد برمجة، بل فيها تحليل عمل وإدارة مشاريع وتواصل مع الناس.

اتصلت بطالبتين تخرجتا حديثا. سألتهما عن يوم عادي، لا عن أجمل يوم في التخصص. قالت خريجة هندسة البيئة إن بعض العمل ميداني، وبعضه تقارير وقياسات وتعامل مع أنظمة. وقالت خريجة نظم المعلومات إن المشكلة لا تأتي دائما في صورة شفرة؛ قد تكون في سؤال لم يفهم، أو إجراء لم يوثق.

سجلت مريم الإجابات، ولكنها لم تجعل تجربة شخص واحد قانونا. سألت عن معدل التخرج، وفرص التدريب، وإمكان تغيير المسار في السنة الأولى. كلما وجدت معلومة، كتبت مصدرها وتاريخها. وإذا وجدت وعدا عاما مثل «الطلب مرتفع دائما»، حولته إلى سؤال أصغر: في أي مدينة؟ ولأي مستوى؟ وبأي مهارات مساندة؟

في اليوم الرابع، قال لها أخوها الأكبر، البالغ عشرين عاما: «أنت تزيدين الأسئلة. اختاري ما تحبين وانتهى».



قالت: «أنا لا أسأل لأؤجل القرار فقط. بعض الأسئلة يغير القدرة على الاختيار. مثلا، لو لم تكن المنحة مؤكدة، فالخيار البعيد يحتاج إلى خطة مالية أخرى».

سألها: «ومتى ستتوقفين عن السؤال؟»

أشارت إلى العمود الثالث. «عندما أعرف أن البقية لا يمكن ضمانها قبل العيش. لا أستطيع أن أعرف من الآن أي أستاذة سألقى، أو أي صداقة ستعينني، أو كيف سيتغير سوق العمل بعد خمس سنوات».

في اليوم الخامس، جلست مريم مع أمها وحدها. لم تقل لها أمها: «القرار قرارك» ثم تنسحب من المسؤولية، ولم تفرض عليها رغبتها. وضعتا أرقام الدخل والتكلفة على الطاولة. وقرأت أمها رسالة وصلتها من زوجها، أبي مريم، عن المال المتاح: يستطيعان دعم السكن في السنة الأولى بحد معلوم، ولكنهما لا يستطيعان الوعد بتغطية كل زيادة. وقالت أمها إن المدينة البعيدة ممكنة، لكنها تحتاج إلى خطة للسكن والمواصلات والعودة عند الطوارئ.

لم تكن الأرقام مجرد مانع. أظهرت لها ما يجب سؤاله. اتصلت بإدارة السكن، وعرفت أن الرسوم المعلنة لا تشمل الطعام ولا النقل إلى بعض المختبرات. وسألت عن تاريخ إعادة جزء من الرسوم إن غيرت رأيها. كان الجواب أقل مرونة مما ظنت. أضافت ذلك إلى الجدول، لا لتخيف نفسها، بل لترى الثمن الذي ستلتزم به.

قالت أمها: «أخشى أن تختاري القريب فقط لأن البعيد يخيفك».



ثم قرأت أمها جملة أخرى من رسالة زوجها: «وأنا أخشى أن تختار مريم البعيد لتثبت أنها شجاعة».

كتبت مريم الجملتين. كانتا تكشفان ميلين متعاكسين، ولا تفرضان نتيجة. الشجاعة ليست في المسافة وحدها، والحكمة ليست في القرب وحده. قد يكون السفر خيارا مسؤولا، وقد يكون البقاء كذلك. المهم أن تعرف لماذا تختار، وما الذي ستحمله مع الاختيار.

في اليوم السادس، تحدثت مع مرشدة المدرسة. قرأت المرشدة الجدول، ثم سألت: «أين قيمك وميلك؟ لديك حقائق كثيرة، لكن الأرقام لا تختار وحدها».

كتبت مريم: تهتم بأن يكون لعملها أثر واضح، وتستمتع بتحليل المشكلات، وتتعلم جيدا عندما ترى ما تفعله المعلومة في الواقع. لكنها أقرت أنها لم تجرب عملا حقيقيا في أي من المجالين. فاقترحت المرشدة مهمتين صغيرتين: مراجعة تقرير بيئي مبسط، وبناء نموذج أولي لنظام تتبع استهلاك الماء.

أنجزتهما مريم في يومين. في التقرير البيئي، أحبت تحويل القياسات إلى سؤال عن سلامة المكان، ولكنها وجدت نفسها تعود مرات إلى أسس الكيمياء التي تحتاج إلى تقوية. وفي النموذج الرقمي، أحبت ربط البيانات بقرار عملي، ولكنها رأت كم يحتاج العمل إلى صبر على التفاصيل ومراجعة لا ترى.

عرضت المهمتين على صديقتها سارة، وهي أيضا في الثامنة عشرة. كانت سارة قد اختارت تخصصها منذ شهرين، وكانت تقول إنها «تعرف نفسها». نظرت إلى نموذج الماء، وقالت: «أراك تستمتعين بهذا. لماذا لا تحسمين؟»



قالت مريم: «لأن الاستمتاع دليل، لكنه ليس الدليل كله. أحتاج أيضا إلى أن أعرف إن كنت مستعدة لتعلم الجزء الذي لا يمتعني من المجال. كل تخصص فيه عمل روتيني ومهارات لا تظهر في المقاطع التعريفية».

قالت سارة: «إذا أنت تبحثين عن خيار بلا عيوب».

أجابت مريم: «كنت أفعل ذلك في البداية. الآن أحاول أن أعرف أي تكلفة أستطيع أن أحملها، وأي مشقة تخدم غاية أفهمها».

لم تحول التجربتين إلى نبوءة. لم تقل: «استمتعت ساعتين، إذا سأنجح خمس سنوات». لكنهما أضافتا دليلا أفضل من الخيال وحده.

في الليلة التاسعة، أغلقت مريم جدولها. توضأت وصلت، ودعت الله أن يقدر لها الخير ويعينها عليه. لم تنتظر حلما، ولم تفتح الهاتف لتبحث عن «علامة» في أول مقطع يظهر. كان دعاؤها طلبا للهداية والعون، لا عقدا يضمن لها أن يخلو الطريق من الصعوبة.

في الصباح، عاد القلق. قالت في نفسها: «لو كان اختياري صحيحا، لما خفت». ثم راجعت العبارة: الخوف لا يثبت أن الخيار خاطئ، كما أن الحماس لا يثبت أنه صحيح. كلاهما شعور يحتاج إلى موضعه، ولا يحمل القرار وحده.



في اليوم العاشر، اختارت نظم المعلومات في الجامعة القريبة. لم يكن السبب واحدا: النموذج العملي ناسب طريقتها في التعلم، والتكلفة كانت أقدر عليها، والخطة تسمح لها بمقررات في البيانات والاستدامة. وضعت مع اختيارها خطة لأول فصل: مقرر

تجريبي في التحليل، زيارة لفريق من النساء يعمل في بيانات المياه، ومراجعة بعد نهاية السنة.

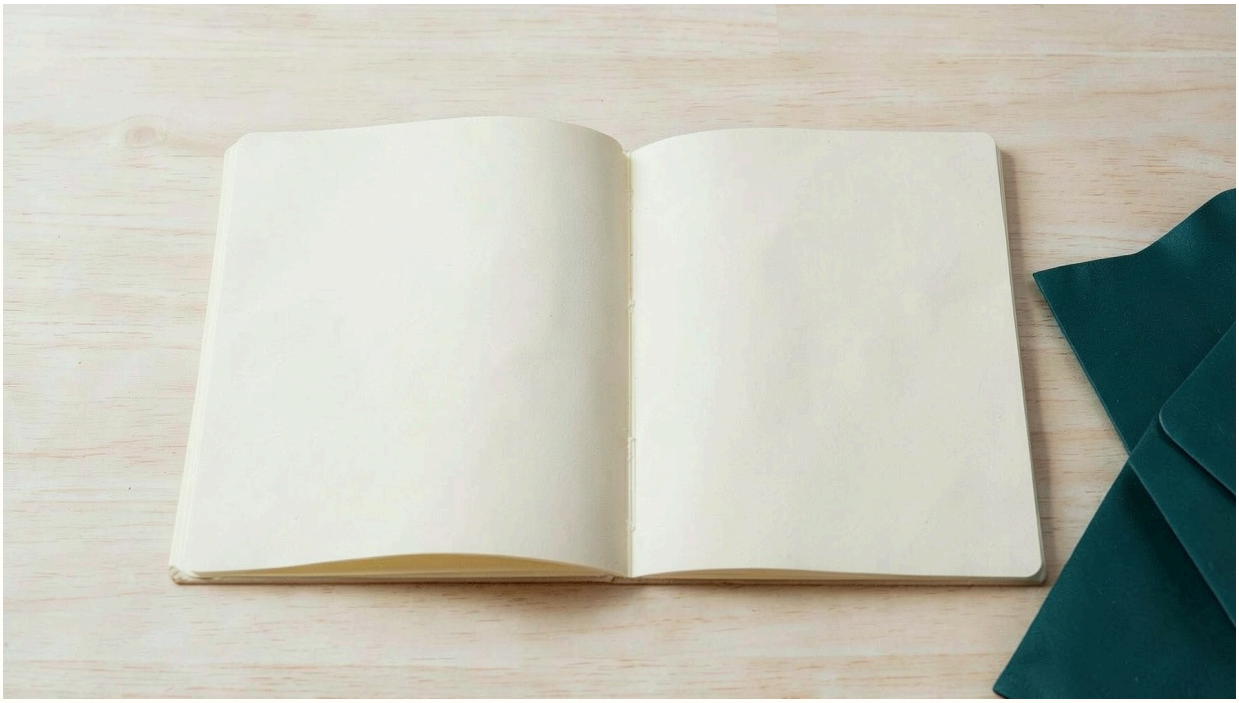
كتبت أيضا شرطين للمراجعة حتى لا تتحول إلى باب للتردد اليومي. لن تعيد فتح القرار بعد كل واجب صعب أو محاضرة مملة. ستراجعه في موعد معلوم، وبعد أن تجمع أدلة عن الأداء والميل والفرص، لا عن مزاج يوم واحد. وإن ظهر سبب قوي قبل ذلك، فالتصحيح ليس خيانة للقرار الأول، بل وفاء للغاية التي اختار من أجلها.

أرسلت إلى الجامعة البعيدة اعتذارا عن القبول قبل انتهاء المهلة. لم تترك المقعد معلقا لتشعر أن كل الأبواب ما زالت مفتوحة. كان جزء من الاختيار أن تترك مكانا لطالب آخر، وأن تقبل أن القرار الحقيقي يغلق بعض الإمكانات.

قبل أن تضغط زر التأكيد، شعرت برغبة في فتح كل الروابط مرة أخرى. سألت نفسها: «هل ظهرت معلومة جديدة، أم أني أطلب من البحث أن يلغي المخاطرة؟». لم تكن هناك معلومة جديدة. ضغطت الزر، وحفظت إيصال القبول.

بعد ساعة، لم تشعر بسكينة كاملة. وفي اليوم التالي، رأت صورة لمختبر الهندسة البيئية، فشعرت بوخزة «ماذا لو؟». لم تعد إلى باب القبول لتعاقب نفسها. وضعت الصورة في ملف بعنوان «مجالات أريد أن أتعلم عنها»، ثم عادت إلى خطتها.

بعد أيام، سألتها قريبة لها: «هل أنت متأكدة مائة في المائة؟». كان من السهل أن تقول نعم لكي لا تبدو مترددة. لكنها قالت: «أنا متأكدة من أني اتبعت خطوات مسؤولة، ولست متأكدة من كل ما سيحدث. هذان أمران مختلفان».



قالت القريبة: «ألا يقلقك هذا؟»

أجابت: «يقلقني أحيانا. لكن القرار لا يحتاج إلى ادعاء علم لا أملكه. يحتاج إلى صدق في ما أعرف، وعمل بما أستطيع، واستعانة بالله فيما لا أملك».

عند بدء الدراسة، وجدت أن بعض المقررات أصعب مما توقعت، وأن بعض ما خافته لم يقع. لم يكن القرار دليلا على أنها عرفت المستقبل. كان عملا مسؤولا بما عرفته في وقته، مع توكل واستعداد للتعلم والتصحيح.

في أول أسبوع، فتحت جدول القرار القديم. لم تضع عليه خاتم «الإجابة النهائية». كتبت في أسفله: «جمعت ما أستطيع، وسألت، ودعوت، ثم اخترت. والآن يبدأ واجب العمل».

ثم أغلقت الملف وذهبت إلى محاضرتها. لم يكن الطريق قد صار معلوما كله، ولكن الخطوة التالية كانت معلومة: أن تحضر، وتتعلم، وتسأل عما لا تفهمه، وتراجع اختيارها في وقته، لا في كل لحظة خوف. كان هذا أقل من معرفة المستقبل، وأكثر مما كانت تحتاج إليه لتبدأ.

مصدر الإلهام وحدوده

هذه قصة معاصرة متخيلة؛ أشخاصها وحوارها واختياراتها الجامعية ليست أخبارًا تاريخية منقولة من المصدر.

مصدر الإلهام المعنوي: مدارج، ليطمئن قلبي — اليقين، الصفحات الفعلية ١٣ و٢٩ و٦٥ من ملف PDF. لا تجعل المقارنة الأدبية أحداث القصة وقائع ثابتة في المصدر.

الصفحة ٦٥ بداية خبر تاريخي؛ لا تكفي وحدها لإثبات نتيجة عن موعد الوعد، ولم تُعَد صياغة ذلك الخبر في مشهد قصصي. الدعاء في القصة طلب للهداية والعون، دون ضمان حلم أو علامة أو مستقبل يخلو من المشقة.

ملف المصدر، مع أرقام الصفحات السابقة: https://madarej.org/wp-content/uploads/2026/10/ليطمئن-قلبي-—-اليقين-—-R13.pdf.pdf

الصور ترتيبات تعليمية رمزية معاصرة، ولا تمثل شخصيات القصة أو ممتلكات تاريخية.